السَّنة الثلاثون وخمس مئة

فيها في المحرم وَصَلَ يرنقش الزَّكوي في أمورٍ صعبة رُفِعَتْ إلى الخليفة؛ منها أَنَّه مطالبٌ بخطٍّ كتبه المسترشد بسبع مئة ألف دينار ليتخلَّص من أَسْره، ومطالب لأولاد صاحب المخزن بثلاث مئة ألف دينار، وقسط على أهل بغداد خمس مئة ألف دينار وغير ذلك، فاستشار الرَّاشدُ أربابَ دولته، فأشاروا عليه بالمكاشفة، فبعث إلى يرنقش يقول: قد عَلِمْنا في أيِّ شيء جِئْتَ: أما الأموال المضمونة فإنَّها كانت لإعادة الخليفة إلى داره سالماً، ومستقرِّ عِزِّه آمناً، لا للممالأة على قتله، وأما أموال النَّاس فلا سبيلَ إليها، وما لك عندنا إلا السَّيْف؛ وأنا مطالِبٌ بثأر أبي.

وقطع خُطْبة سنجر ومسعود، وكاتَبَ زَنْكي، وأطمعه في المُلْك، وقال: يكون الملك ألب رسلان بن محمود الذي عندك، وأنت أتابكه.

وكاتَبَ يرنقش البازدار وإقبال الخادم، وأياز صاحب محمود فَقَدِمُوا عليه، وعليهم ثيابُ العزاء، فحسَّنوا للرَّاشد الخروج، واستوزر أبا الرِّضى ابن صدقة، وجاء داود، فنزل دار المملكة، وبَعَثَ الرَّاشد إليه وإلى زَنْكي والجماعة الأموالَ والهدايا. وخطب لداود في صفر.

ثم إنَّ الرَّاشد بلغه عن إقبال الخادم أنه كاتَبَ مسعوداً، فقبض عليه، فأرسل زَنْكي يقول: هذا قد جاء في صحبتي، وهو في ضماني، ولا بُدَّ من الإفراج عنه. فامتنع الرَّاشد، وشَفَعَ فيه جميعُ الأُمراء، فلم يقبل، وكان ذلك سبباً لفساد حال الرَّاشد، فركب زنكي والبازدار إلى السُّور، وأخربوا منه قطعة، وجاء زنكي فوقف تحت التَّاج، وسأل في إقبال سؤالاً تحته إلزام، وكان إقبال قد وُكِّلَ به في التَّاج، فَغَفَلَ عنه الموكَّلون، فهرب إلى زَنْكي، فَصَعُبَ على الخليفة، ووكَّل بأُستاذ الدَّار، والبوابين، وقال: كيف جرى مثل هذا؟! وكان إقبال من خُدَّام المسترشد أستاذ داره، فلما قُتِلَ المسترشد هَرَبَ من مَرَاغة إلى زَنْكي، فأقام عنده.

وبعث الرَّاشد بالوزير محمد بن أحمد بن صَدَقَة إلى زنكي يوبِّخه على ما جرى منه، فلامه زنكي، وقال: ما هذا التدبير السَّيِّئ، والأفعال القبيحة؟ فقال الوزير: أنا مستجير بالله وبك لا أعود إليه، فإنه مستبدٌّ برأيه، وما يسمع مني. فقال: اجلس فأنتَ آمنٌ.

وبَعَثَ الخليفةُ يطلب الوزير، فامتنع، وقال: أيّ وزير أنا إذا كنتُ أشير عليك بالمصلحة لا تقبل مني، وتفعل ما عاقبته إلى الهلاك، قلت لك: لا تقبض الخادم ما قبلت، وقد وَلَّيْتَ ابنَ الهاروني الملعون النَّصراني على المسلمين، وهو يكون سبباً لتغيير الدولة. فقبض الرَّاشد على ابن الهاروني، وأخذ منه مئتي ألف دينار، وكان قد فتح على النَّاس أبوابَ الظُّلْم والمكوس؛ وتقدَّم إلى أبي الكرم الوالي بقَتْله، فقتله، وصلبه.

وأما مسعود فإنَّه أفرج عن أربابِ الدَّوْلة وهم الوزير وابن طلحة وقاضي القضاة، وابن الأنباري، ونقيب الطَّالبيين ابن المُعَمَّر، فأما النَّقيب فتوفي لما نزل من القلعة، وأما قاضي القضاة فانحدر إلى بغداد، وأما الباقون فدخلوا بغداد مع مسعود.

وقبض الرَّاشد على أُستاذ داره أبي عبد الله بن جَهِير، وقيل: إنَّه وُجِدَتْ له مكاتباتٌ، وبَعَثَ زَنْكي يقول: أُريد مال الخادم، فإنَّه مال السُّلْطان، ونحن نحتاج [إلى][1] النفقات. فلم يُعْط شيئاً، وأشار زنكي على ابنِ صَدَقَة أَنْ يكون وزير السُّلْطان داود، فأجابه. وولى الخليفة أبا العَبَّاس بن بختيار قضاء واسط. وتواترتِ الأخبارُ بمجيء مسعود، فجاء زَنْكي، فدخل على الخليفة، وقبَّل يده، واستوثق منه.

وقَرُبَ مسعودٌ من بغداد، وبعث يطلب صُلْح الخليفة، فلم يُجِبْه، وأشار زنكي واليرنقش والبازدار بالخروج إلى محاربته، وضُرِبَ سُرادِقُه بباب الحَلْبة[2]، ورُدَّ ابنُ صدقة إلى الوِزارة. وخَرَجَ الرَّاشد من داره سَلْخ شعبان، وجاءت ملطّفات من مسعود إلى الأُمراء، فأحضروها إلى الخليفة وزنكي إلاَّ بكبه الشِّحنة فإنَّه أنكر، فغرَّقه زنكي.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

(٢) الحلبة: محلة كبيرة واسعة، شرقي بغداد، عند باب الأزج. «معجم البلدان»: ٢/ ٢٩٠ .

وفي عاشر رمضان جاء رسولُ مسعود يطلب الصُّلح، فقال الأُمراء: ماله عندنا إلا السيف. فكاتبهم مسعود، وحَلَفَ لزنكي على المَوْصِل والشَّام، وأن ليرنقش هَمَذَان، والبازدار أَصبهان، وكَتَبَ سِرًّا إلى الأُمراء بقتل زنكي، فاستفسد الجميع، وخاف بعضُهم من بعض، وأصبح الخليفةُ وليس معه أحدٌ من العساكر.

وجاء غِلْمانُ مسعود إلى تُرب الرُّصافة، فقلعوا شبابيكها، فقال زنكي للخليفة: ما تَمَّ مطلوب إلا أنا وأنت، والمصلحة خروجك معي إلى المَوْصل. ولما تيقَّن الرَّاشد مجيء مسعود، وأَنَّه لا بُدَّ له من تولية غيره، جمع الأُمراء من أبناء الخلفاء وكانوا زيادةً على العشرين، فجعلهم في سِرْداب، واستدعى أبا القاسم بن الصَّاحب حاجب الباب، وأعطاه سيفه، وقال: اذهب، فاضربْ أعناقَ الجميع وإلا ضَرَبْتُ عُنُقَك. فأخذ السيف، وخَرَجَ وتوقف، وقال: كيف أقتل أولادَ الخلفاء! وجاء إلى باب السِّرْداب وليس في عزمه شيء. فوقف متحيِّراً، وإذا بصائحٍ يصيح: وصَلَتْ مقدِّمات مسعود إلى السور. فخرج الرَّاشد من باب البُشْرى، وقد حمل من الجواهر ما قَدَرَ عليه، ومعه قاضي القضاة الزَّيْنبي، وابن صدقة وزيره، وإذا زنكي واقفٌ ينتظره، وكان خروجه ليلة السبت رابع عشرة ذي القَعدة، وسار يوم السبت، وليس معه شيء من آلة السَّفر، وسَلَّم مفاتيح داره إلى خاتون زوجة المستظهر، وترك في الدَّار من الأموال والذخائر والجواهر أضعاف ما كان مع المسترشد، فاستدلَّ النَّاسُ بذلك على إدبار أمره.

وقيل: إن زنكي لما وصلت مقدِّمات مسعود إلى الرُّصافة سار إلى المَوْصِل، ونَهَبَ أصحابه أَوَانا ودُجَيْل، ولحقه الخليفة.

ودخل مسعود بغداد يوم الأحد خامس عشرة ذي القعدة، وبَعَثَ إلى الرَّاشد يسأله الرجوع إلى داره، واسترضاه، فلم يثق به، ولم يرجع، فجمع مسعودٌ القُضَاة والشهود والأعيان، وأَخْرَجَ لهم نسخة يمينٍ كانت بينه وبين الرَّاشد أخذها عليه بكبه، وفيها بخطِّه: متى جَنَّدْتُ أو حاربتُ أو جذبتُ سيفاً في وَجْه مسعود فقد خلعتُ نفسي من هذا الأمر. وفيها خطوطُ القُضاة والشُّهود، فشهد بذلك، وحكم القضاة بخلعه.

وقال صدقة الحَدَّاد الحَنْبلي[١] في «تاريخه»: إنَّ الوزير أبا القاسم بن طِراد صدَّر محضراً على الرَّاشد فيه أنواعٌ من الكبائر ارتكبها من الفسق والفجور، ونكاح أُمهات أولاد أبيه، وأخذِ أموال النَّاس، وسَفْكِ الدِّماء، وأنه فعل أشياءَ لا يجوز أن يكون معها إماماً، فتوقف الشُّهود، فتهدَّدهم ابنُ طِراد، وقال: عَلِمْتُم صحة هذا وتيقنتموه، فما المانع من إقامة الشهادة؟ فشهدوا، ومن جُمْلة من شهد فيه ابن الكَرْخي، وابن البَيْضاوي، وابن الهِيْتي، ونقيب الطَّالبيين، وابن الرَّزَّاز[٢]، وابن شافع الحنبلي، وحكم بخلعه يوم الاثنين ثامن عشرة ذي القعدة، وولّوا المقتفي.

الباب الحادي والثلاثون

في خلافة المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر، أخو المسترشد، عَمّ الرَّاشد

وكنيته أبو عبدالله، ومولده في ربيع الأَوَّل سنةَ تسعٍ وثمانين وأربع مئة. وأمه نسيم أُمّ ولد مولَّدة صفراء وتلقب بستِّ السَّادة، وقيل: اسمها عذار، وكان يضرب بها المَثَلُ في الكَرَم والفَضْل، وسنُّ المقتفي يومئذٍ اثنتان وأربعون سنة، واستوزر ابن طِراد.

وإنَّما لُقِّب بالمقتفي لأَنَّه رأى النَّبيَّ ﷺ في منامه قبل أن يلي الخلافة بستة أيام، وهو يقول له: ستلي هذا الأمر، فاقتفِ بي.

ولما ولي مضت خاتون المستظهرية إلى دار السُّلْطان لتسأله في أولاد الرَّاشد وجواريه وحُرَمه وأمواله، فرجعت وقد بَعَثَ مَنْ أخذ جميعَ ما في الدَّارِ من الذَّهب والفِضَّة والجواهر والخيل والثياب والحُصُر، ولم يدع في الإسطبل سوى أربعةِ أفراس، وثلاث بغال لنقل الماء. وكان قد تقرَّر على المقتفي مال البيعة، فأخذ الجميع عِوَضاً عن ذلك، وطولب المقتفي بمالٍ، فقال: قد أخذتم جميعَ ما كان في الدَّار حتى الحُصُر، فمن أين لي مال؟ وعَرَضَ عقاره، فلم يتجاسر أحدٌ أن يشتريه.

---

(١) هو صدقة بن الحسين، وقد توفي سنة (٥٧٣هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.

(٢) في (ع) و(ح): الروان، والمثبت من «المنتظم»: ١٠/ ٦٠.

وبعث مسعود غِلْمانه إلى حظايا الرَّاشد، فسلبوهن حُلِيَّهُنَّ، وكشفوا وجوههن، وأخذوا الحَلَق من آذانهنّ، وفضحوهن، وأخذوا حتى ثيابهن.

وأما الرَّاشد فإنَّه وصل المَوْصل سَلْخ ذي القعدة، فأنزله زنكي دار السَّلْطنة، وخدمه.

وفيها قَدِمَ بغداد الحسن بن يعيش[1]، أبو علي المَوْصلي، شاعِرٌ مجيد، ومن شعره: [من الرجز]

ما ذَكَرَتْ كُثْبَ[2] الصَّريم والنَّقا ... بحاجرٍ إلا ومَدَّتْ عُنُقا
وأَظْهَرَتْ تنفُّساً مَعْ نَفَسي ... كادتْ له الأظعانُ أَنْ تَحْتَرِقا
رِفقاً بها يا أيُّها الحادي فما ... يَضُرُّ حادي الرَّكْبِ لو تَرَفَّقا
كم سُقْتَ يومَ بَيْنِهِمْ حُشاشةً ... مَعْك وكَمْ خَلَّفْتَ جُثْماناً لَقى

وقال: [من الرجز]

هَبَّتْ لنا نُسَيْمةٌ نَجْدِيَّةٌ ... فَرَفَّعَتْ أعناقَها حنينا
واسْتَنْشَقَتْ رَيَّا رُباها فَغَدتْ ... تَسُحُّ مِنْ عيونها عيونا
ارخِ لها زِمامَها لو لم تكن ... حزينةً لم تَجُبِ الحُزُونا
وقُلْ لها جِدِّي السُّرى لِتَرِدِي ... ماءً بأَرْضِ حاجرٍ مَعِيْنا
أشْمَلَها نحو بلاغٍ رامَهُ ... وشوقُها يَسُوقُها يمينا

وفيها أخذ شهابُ الدِّين محمود بن بوري صاحب دمشق حِمْصَ وقلعتها من خيرخان بن قراجا[3] بسفارة الحاجب يوسف بن فيروز، وكان مقيماً بتدمر على ما وصَفْنا، وأخذ حماة أيضاً، وكان زَنْكي مشغولاً بالخليفة، وكان خليفته بحلب الأمير سوار، وقد قنع منه بالاسم لا غير.

وحَجَّ بالنَّاس نَظَر.

---

(١) لم أقف على ترجمته في المصادر التي بين يدي.

(٢) كثب جمع، مفردها كثيب، وهي تلال الرمل، وقد سكنت الثاء لضرورة الشعر. «اللسان» (كثب).

(٣) كذا في النسخ الخطية، والصواب: أولاد خيرخان كما في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٩٧.

وفيها توفي

علي بن أحمد بن منصور [١]

أبو الحسن ابن قُبَيْس، الغَسَّاني، النَّحْوي، الزَّاهد.

كان منقطعاً عن الناس بالمنارة الشَّرْقية بجامع دمشق، وكان عالماً بالفرائض والأدب والحساب، ثِقَةً، وَرِعاً، يُفْتي على مذهب مالك.

توفي يوم عرفة، ودفن بالباب الصَّغير، [سمع الخطيب وغيره، وروى عنه الحافظ ابن عساكر وغيره][٢].

[فصل: وفيها توفي

علي بن أحمد بن الحسن[٣]

أبو الحسن المُوَحِّد، ويعرف بابن بَقْشلان، ويقال بَقْشلام ـ بالميم ـ ذكره جَدِّي في «مشيخته» ولو تركه كان أَوْلى لثلاثة أوجه، إحداها أَنَّه قال: إنما سمِّي البقشلام، لأن أباه باتَ ليلةً بقرية من قُرى بغداد يقال لها شلام كثيرة البق، فكان يقول طول الليل: بق شلام، وهذا كلام لا فائدة فيه. والثَّاني أَنَّ جدي ذكره في «المشيخة»، وقال: كان شيخنا ابن ناصر يغمزه بشيئين، أحدهما الميل إلى الأشاعرة، والثاني بخدمة السلطان، فَظَلَمَ جماعةً من أهل السَّواد. الثالث: أن جدي حكى في «المنتظم» عن ابن ناصر أنه قال: كان في أيام الفِتَن مع أهل البِدَع، ولم يكن من أهل السُّنة ولا العارفين بالحديث، فلا يحتجُّ بروايته.

قلتُ: ومن هذا حاله كيف تجوز الرواية عنه؟ ثم عاد جدي في «المنتظم» وثقه، وقال: ولد ابن البقشلام في شعبان سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة، وسمع من

---

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١١/ ٨٥٤-٨٥٥ ، و«إنباه الرواة»: ٢/ ٢٣٢ ، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٨٢ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٨-١٩ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٦٢-٦٣ ، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٨٢-٨٤ ، و«الأنساب»: ٢/ ٢٦٤-٢٦٥ ، و«اللباب» لابن الأثير: ١/ ١٦٦-١٦٧ ، و«ميزان الاعتدال»: ٣/ ١١٣ ، و«لسان الميزان»: ٤/ ١٩٧ ، و«توضيح المشتبه»: ٨/ ٣٠٢-٣٠٣ .

أبي الحسين ابن المهتدي، وأبي يعلى الفراء، وأبي جعفر ابن المُسْلمة، وأبي الحسين ابن النَّقور وغيرهم، وحدَّثَنا عنهم، وكان سماعُه صحيحاً وظاهره الثِّقة. ثم ذكر عن ابن ناصر له بما ذكرناه، وتوفي في رمضان، [ودفن][1] بباب أبرز][2].

القاسم بن عبد الله بن القاسم[3]

ابن الشهرزوري، شمس الدين، أخو القاضي كمال الدين

ولي قضاء المَوْصِل، وكان يعظُ النَّاس، وله قَبُول حَسَنٌ، وهو القائل القصيدة المشهورة[4]، وهي: [من الخفيف]

لَمَعَتْ نارُهُم وقد عَسْعَسَ اللَّيْـ ... ـلُ وحار الحادي وضَلَّ الدَّليلُ
فتأَمَّلْتُها وقلتُ لصَحْبي ... هذه نارُ آلِ ليلى فَمِيْلُوا[5]
وفؤادي ذاك الفؤادُ المُعَنَّى ... وغرامي ذاك الغرامُ الدَّخيلُ
فرمَوْا نحوها لِحاظاً صحيحا ... تٍ فعادتْ خواسئاً وَهْي حُولُ
ثم مالوا إلى المَلام وقالوا ... خُلَّبٌ ما رأيتَ أو تخييلُ
فَتَجَنَّبْتُهُمْ وملتُ إليها ... والهوى مَرْكبي وشَوقي الزَّميلُ
ومعي صاحبٌ[6] أتى يقتفي الآ ... ثارَ والحبُّ شَرْطُهُ التَّطْفيلُ
وَهْي تَعْلُو ونحن ندنو إلى أنْ ... حَجَزَتْ دونَها طلولٌ مُحولُ

---

(١) ما بين حاصرتين من «المنتظم»

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٢٣٨ - وفيه توفي سنة (٥٣٠هـ) - و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٢٦٦ ، ـ وفيه وفاته سنة (٥٣٣هـ) ـ و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٥٨ .

(٤) نسبها ابن خلكان في «وفياته»: ٣/ ٤٩-٥١ للمرتضى الشهرزوري، والد القاسم المذكور، وقد سلفت ترجمة المرتضى (وفيات سنة ٥٢٠هـ).

(٥) في «وفيات الأعيان»:

فتأملتها وفكري من البيـ ... ـن عليل ولحظ عيني كليل
وفؤادي ذاك الفؤاد المعنَّى ... وغرامي ذاك الغرام الدخيل
ثم قابلتها وقلت لصحبي ... هذه النار نار ليلى فميلوا

(٦) في (ع) حاجب، والمثبت من (ح).

فَدَنَوْنا من الطُّلولِ فحالَتْ زَفَراتٌ مِنْ دونها وغليلُ
قلتُ مَنْ بالدِّيارِ قالوا أسيرٌ وجريحٌ مُكَبَّلٌ وقتيلُ[1]
ما الذي جئتَ تَبْتَغي قلتُ ضيفٌ جاءَ يبغي القِرى حواه المَقِيْلُ
فأشاروا بالرَّحْبِ دونك فاعْقِرْ ها فما عندنا لضَيْفٍ رحيلُ
من أتانا ألقى عصا السَّيْرِ عنه قلتُ مَنْ لي بها وكيفَ السَّبيلُ
فَحَطَطْنا إلى منازِلِ قَوْمٍ صَرَعَتْهمْ قبلَ المذاقِ الشَّمُولُ
دَرَسَ الوَجْدُ منهمُ كلَّ رَسْمٍ فَهْوَ رَسْمٌ والقَوْمُ فيهِ حُلُولُ[2]
ومنَ القومِ مَنْ يشيرُ إلى وَجْـ ـدٍ تبقَّى عليه منه القليلُ[3]
قلتُ أهلَ الهوى سلامٌ عليكم لي فؤادٌ عنكمْ بكمْ مشغولُ[4]
لم يزل حافِزُ التَّشَوُّقِ يحدو ني إليكمْ والحادثاتُ تحولُ
جئتُ كي أَصطَلي فَهَلْ لي إلى نا رِكُمُ هذه الغَدَاة سبيلُ
لا تروقَنَّكَ الرياضُ الأنيقا تُ فمِنْ دونها رُباً ومحولُ
ليسَ إلا الأنفاسُ تُخْبِرُ عنه وَهْو عنها مبرَّأٌ مَعْزولُ

---

(١) كذا في (ع) و(ح)، وفي «وفيات الأعيان»:

قلت من بالديار قالوا جريح وأسير مكبَّلٌ وقتيلُ

وهو الأشبه.

(٢) بعد هذا البيت في (ح). ليس إلا الأنفاس، وهو كذلك في «وفيات الأعيان».

(٣) بعد هذا البيت في (ح):

ولكل رأيت منهم مقاماً، ومثله في «وفيات الأعيان».

(٤) بعد هذا البيت في (ح): وجفوني قد أقرحتها، ومثله في «وفيات الأعيان».

وبعده فيهما:

لم يزل حافز التشوق يحدو بي إليكم والحادثات تحولُ
واعتذاري ذنب فهل عند من يعـ ـلم عذري في ترك عذري قبولُ
جئت كي أصطلي فهل إلى نا ركم هذه الغداة سبيلُ
فأجابت شواهد الحال عنهم كل حد من دونها مفلول
لا تروقنك الرياض الأنيقا ت فمن دونها رباً ومحول
كم أتاهم قوم على غرة منـ ـها ورامُوا أمراً فعزَّ الوصول

وقفوا شاخصين...إلخ، ومثله في «وفيات الأعيان» مع اختلاف في بعض الألفاظ.

ولكلٍّ رأيتُ منهم مقاماً ... شَرْحُه في الكتابِ ممَّا يطولُ
وجُفوني قد أَقْرَحَتْها مع الدَّمْـ ... ـعِ حنيناً إلى لقاكُمْ سيولُ
واعْتذاري ذنبٌ فهل عند مَنْ يعـ ... ـلمُ عُذْري في تَرْكِ عُذْري قَبُولُ
فأجابَتْ شواهدُ الحالِ عنهمْ ... كلُّ حَدٍّ مِنْ دونها مفلولُ
كما أتاهُمْ قومٌ على غِرَّةٍ منـ ... ـها وراموا أمراً فَعَزَّ الوصولُ
وقفوا شاخِصِيْنَ حتى إذا ما ... لاح للوَصلِ غُرَّةٌ وحُجُولُ
وَبَدتْ رايةُ الوفا بيدِ الوَجْـ ... ـدِ فَنُودوا أهلَ الحقائقِ جُولُوا
أين من كان يدَّعينا فهذا الـ ... ـيومُ فيهِ صِبْغ الدَّعاوى يَحُولُ
بذلوا أنْفُساً سَخَتْ حين شَحَّتْ ... بوِصالٍ واسْتُصغِرَ المَبْذُولُ
قَذفتْهُمْ إلى الرُّسومِ فكلٌّ ... دمُهُ في طلولها مَطْلُولُ
نارُنا هذه تضيءُ لمن يَسْـ ... ـري بليلٍ لكنَّها لا تُنيلُ
جاءَها مَنْ عَلِمْتَ يبغي قِراها ... وله البَسْطُ والمُنَى والسُّولُ
فتعالَتْ عن المنالِ وعَزَّتْ ... عن دُنُوٍّ إليه وَهْوَ رَسُولُ
فوقَفْنا كما رأيتَ حَيارَى ... كلُّ عَزْمٍ مِنْ دونها مغلولُ
نَدْفَعُ الوقتَ بالرَّجاءِ وناهيـ ... ـكَ بقلبٍ غذاؤه التَّعليلُ
هذه حالُنا وما وَصَلَ العِلْـ ... ـمُ إليهِ وكلُّ حالٍ تحولُ

من أبياتٍ. وقيل: إنَّها لغيره[1].

محمدُ بنُ عبد الله بن أحمد[2]

ابن حبيب، أبو بكر العامري، ويعرف بابن الخَبَّازة.

---

(١) أوردها بتمامها ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٩-٥١، ونسبها للمرتضى والد المترجم كما ذكرنا، وقال: وإنما أثبت هذه القصيدة بكاملها لأنها قليلة الوجود، وهي مطلوبة.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٦٤-٦٥، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٤٩-١٥٢، و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٤٦، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٣٤٩، و«توضيح المشتبه»: ٢/ ١٧١.

ولد سنة تسع وستين وأربع مئة، وسافر إلى البلاد، [وسمع الحديث بنيسابور وبَلْخ وهراة، ودخل مرو وخراسان][(١)]، وشرح كتاب «الشهاب»[(٢)]، وكانت له معرفةٌ بالفِقْه والحديث، وكان يعظ على طريقة الصُّوفية.

[وذكره جدي في «مشيخته» وقال: كان][(١)] قليل التكلف، وكثيراً ما يصعد المنبر[(٣)] [وبيده مروحةٌ يتروَّح بها. قال: وسمعته يوماً ينشد][(٤)]: [من البسيط]

كيفَ احتيالي وهذا في الهوى حالي ... والشَّوقُ أَمْلَكُ بي من عَذْلِ عُذَّالي
وكيفَ أَسْلُو وفي حُبِّي له شُغُلٌ ... يحولُ بين مُهِمَّاتي وأَشْغالي

[قال][(١)]: وبنى رِباطاً بقَرَاح أبي الشَّحْم[(٥)]، واجتمع إليه جماعةٌ من المتزهِّدين، فلما احْتُضِرَ، قالوا: أَوْصِنا. فقال: راقبوا اللهَ في الخلوات، واحذروا مثل مصرعي هذا، فقد عشت إحدى وستين سنة، وما كأَني رأيتُ الدُّنيا. ثم أنشد: [من الكامل]

ها قد مَدَدْتُ يدي إليكَ فَرُدَّها ... بالعَفْو لا بشماتةِ الأَعداءِ

وهذا البيت لأبي نَصر بن القُشَيْري[(٦)]، وإنما تمثَّل به [ابنُ الخَبَّازة عند الموت.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) يعني كتاب «الشهاب» للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، المتوفى سنة (٤٥٤هـ)، وله شروح كثيرة، وقد طبع «الشهاب» بتحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ونشرته مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٩٨٥. وشرح العامري لما يصل إلينا، وقد نقل عنه المناوي في «فيض القدير».

(٣) انظر «المشيخة» لابن الجوزي: ١٥١، وفيه: فربما صعد المنبر ومعه مروياته (كذا استظهرها محققه)، أما باقي الخبر فهو بنحوه في «المنتظم»: ١٠/ ٦٤.

(٤) في (ع) و(ح): وكثيراً ما يصعد المنبر أنشد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في «المنتظم» و«المشيخة»: بقراح ظفر، قال ياقوت في «معجم البلدان»: ٤/ ٣١٥ في القراح: والمراد به هاهنا اصطلاح بغدادي، فإنهم يسمون البستان قراحاً، وفي بغداد عدة محال عامرة... يقال لكل واحدة منها قراح إلا أنها تضاف إلى رجل تعرف باسمه، كانت قديماً بساتين، ثم دخلت في عمارة بغداد، وهي متقاربة.
قلت: ثم عدَّدها: قراح ابن رزين، وقراح ظفر، وقراح القاضي، وقراح أبي الشحم، ثم عيَّن مواضعها في بغداد بدقة، ثم قال: فهذه أربع محال كبار عامرة آهلة كل واحدة منها تقرب أن تكون مدينة، وفيها أسواق ومساجد ودروب كثيرة.

(٦) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٥١٤هـ).

وكانت وفاته][1] في رمضان، ودُفِنَ في رِباطه، ثم جاء الغَرَق سنة أربعٍ وخمسين وخمس مئة، فَهَدَم تلك المَحَلَّة والرِّباط، وعفَّى آثارَ القبر.

[سمع ببغداد أبا محمد التميمي، وأبا الفوارس طِراد الزَّيْنبي وغيرهما][2]. وكان ابن الخَبَّازة صدوقاً ثِقَةً.

محمد بن حَمُّويه بن محمد[3]

ابن حَمُّويه الجُوَيْني، أحد المشهورين بالزُّهْد والصَّلاح، والفَضْل والعِلْم، صاحبُ كرامات، وله مريدون بالعراق وخُرَاسان، وكان زاهداً وَرِعاً.

قرأ الفِقْه والأُصولين على إمام الحرمين، ثم انجذبَ إلى الزُّهْد والعبادة، وحَجَّ مرَّات، وكان دعاؤه مستجاباً، وكان السُّلْطان سنجر والملوك يزورونه، ولا يغشى أبوابهم، ولا يقبل صِلاتهم، ولا يأكل من الأوقاف، كان له قطعةُ أرضٍ من ملكه يزرعها خادمٌ له، ويتقوَّت منها، وبنى خانكاه بُحَيْراباذ[4] إلى جانب داره، وأوقف عليها أوقافاً.

وصنَّف كتاب «لطائف الأذهان في تفسير القرآن»، و«سلوة الطَّالبين في سير سيِّد المرسلين»، وكتاب «الأربعين في الحديث»، وطريقة في الفقه في ترتيب الأحاديث، وكتاب في علوم الصُّوفية، وغير ذلك.

وولد في المحرَّم سنة تسعٍ وأربعين وأربع مئة ببُجَيْراباذ، وتوفي بإسفرايين غُرَّة ربيع الأول، وحُمِلَ إلى بحيراباذ، فَدُفِنَ في داره.

وأخذ طريق التصوف عن أبي الفَضْل بن محمد الفارْمَذِي، عن أبي القاسم الطُّوسي، عن أبي [عثمان سعيد][5] بن سَلاَّم المَغْربي، عن أبي عمرو الزُّجَاجي، عن

---

(١) في (ع) و(ح): وإنما تمثل به، وتوفي في رمضان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٤/ ٢٣٠، و«المنتظم»: ١٠/ ٦٣-٦٤، و«اللباب»: ١/ ٣٩٢، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٢٨، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٧٩-٥٩٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) قال ياقوت في «معجم البلدان»: ١/ ٣٥٠: بالضم ثم الفتح، من قرى جُوين من نواحي نيسابور.

(٥) في (ع) و(ح): عن أبي سعد بن سلام المغربي، والمثبت ما بين حاصرتين من ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٦/ ٣٢٠-٣٢١.

الجُنَيْد، عن خاله سَرِيّ، عن معروف الكَرْخي، عن داود الطَّائي، عن حبيب العَجَمي، عن الحسن البَصرِي، عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي ﷺ. واللُّبْس من الفارْمَذي إلى الزُّجَاجي، ومن الجنيد صحبةً لا خرقة.

[وفيها توفي

أبو عبد الله المقرئ الفُراوي النيسابوري الصَّاعِدي[١]

واسمه][٢] محمد بن الفَضْل بن أحمد بن محمد بن أبي العَبَّاس، أبو عبد الله الفُراوي[٣] النَّيْسابوري، وفُراوة بلدٌ من بلاد خُراسان.

ولد بنيسابور سنة إحدى وأربعين وأربع مئة، ورحل إلى الأمصار، وسمع الحديث الكثير، وتفقَّه، وأفتى، ووعظ، وكان كريم الأخلاق، حُلْوَ الكلام، حَسَنَ العبارة، جَوَاداً، يخدم الغرباء بنفسه مع كِبَرِ السِّنِّ. وتوفي في شوال، ودُفِنَ عند محمد بن إسحاق بن خُزَيْمة، سمع «صحيح البخاري» من سعيد بن أبي سعيد العَيَّار، وسمع «صحيح مسلم» على عبد الغافر الفارسي، [وسمع بنيسابور أبا عثمان الصَّابوني، وأبا بكر البيهقي، وأبا القاسم القُشَيْري، وأبا المعالي الجويني، وقدم بغداد حاجًّا، فسمع بها من الزَّيْنبي[٤] وطبقته][٢]، وأملى أكثر من ألفِ مجلس، وكان على خاتمه مكتوب: الفُراوي [ألف راوي][٢]، وآخر ما حُمِل في مِحَفَّةٍ إلى قبر مُسْلم بن الحَجَّاج، فَتُمِّمَ عليه قراءة «الصحيح»، وبكى، وأبكى الحاضرين، وقال: لعل هذا الكتاب لا يُقرأ عليَّ بعد هذا اليوم. فكان كما قال، توفي عقيب ذلك، وأجمعوا على عدالته وفَضْله، [وكان أوحد عصره][٢].

---

(١) له ترجمة في «تبيين كذب المفتري»: ٣٢٢، و«المنتظم»: ١٠/ ٦٥-٦٦، و«معجم البلدان»: ٤/ ٢٤٥ - وفيه وفاته سنة (٥٠٣هـ)، وهو خطأ ـ و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٤٦، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٩٠-٢٩١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦١٥-٦١٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ضبطها ابن السمعاني في «الأنساب»: ٩/ ٢٥٦ بضم الفاء، وكذلك ضبطها ابن خلكان في «وفياته»، وضبطها ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ٢٤٥ بفتحها.

(٤) في (م) و(ش) الفريقين، وهو تحريف لطيف! وقد صوبناه مما يستفاد من ترجمته في «المنتظم»: ١٠/ ٦٥.

المُظَفَّر بن الحسين بن علي[١]

أبو الفتح المَرْدُوسني[٢] ، أحد حُجَّاب الخليفة.

ولد سنة ست وخمسين وأربع مئة، وأقام مُدَّة في الحجابة، ثم تزهَّدَ، ولَبِس الفُوَط، وتَرَكَ ما كان فيه، وسَمِعَ الحديث.

يوسف بن فيروز، حاجب شمس الملوك

قد ذكرنا هربه إلى تدمر، وسفارته بين قراجا[٣] وشهاب الدِّين محمود في تسليم حِمْص، وحَلَفَ له شهابُ الدِّين وأمَّنه، فعاد إلى دمشق ينوب في التَّدْبير عن معين الدِّين أُنَر، وكان في نفس الغِلْمان الأتابكية عليه حقد، لأنَّ أيلبا لما قَفَزَ على شمس الملوك أشار عليه بقتله[٤]، وكان بزواش[٥] أتابك العسكر يحسُدُه، ويوسف يهينه ويهين الأتابكية، فاتَّفقوا على قَتْله، فالتقاه بزواش عند المسجد الجديد في جُمادى الآخرة، فضربه بالسَّيْفِ على وجهه، فقتله وهرب، وطلبه شهابُ الدِّين محمود، وقال: لا بُدَّ من قتله وقَتْلِ الغِلْمان الأتابكية، فقيل له: في هذا إفسادُ الدولة، وأعداؤك من كلِّ جانب. فسكت على مَضَضٍ، وعاد بزواش إلى دمشق.

السَّنة الحادية والثلاثون وخمس مئة

فيها طالبَ السُّلْطانُ المقتفي وحواشيَهُ بمئة ألف دينار، فبعث إليه المقتفي يقول: ما رأيتُ أعجبَ من أمرك، أنتَ تعلم أَنَّ المسترشد سار إليك بأمواله، فوصل الكُلُّ إليك، ورجع أصحابه عُراة، وولي الرَّاشد، وفعل ما فَعَل، ثم رحل وأبقى أمواله

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٦٦ ، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج١/ق٢/ ٤٠٤ ، و«الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ٦٧٧-٦٧٨ ، وفيه وفاته سنة (٥٣٢هـ).

(٢) كذا في (ع) و(ح)، وقد اضطربت المصادر في ضبط هذه النسبة، ففي «الخريدة» المردوشتي، وفي «المنتظم»: المردوسي، وفي «الوافي» المردوستي، ولم أقف على ما ينسب إليه.

(٣) انظر ص ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، وتعليقنا على الخبر.

(٤) كذا في (ع) و(ح)، والصواب: بقتلهم، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٩٩-٤٠١ .

(٥) رسم في «ذيل تاريخ دمشق»: بزواج.